SIATS Journals

**The Journal of Sharia Fundamentals for Specialized Researches**

**(JSFSR)**

Journal home page: http://www.siats.co.uk

مجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية

العدد 4، المجلد1، كانون الثاني، يناير 2016م.

e ISSN 2289-9073

AL'IIBDAE WALAIBTIKAR FI ALSANAT ALNUBAWIA

# الإبداع والابتكار في السنة النبوية

**الدكتور: يوسف عبد اللاوي**

**أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الشهيد حمّة لخضر بالوادي – الجزائر –**

**معهد العلوم الإسلامية – قسم أصول الدين –**

**1437هـ – 2016م**

**ARTICLE INFO**

***Article history:***
Received 9/10/2015
Received in revised form 2/11/2015
Accepted 12/12/2015
Available online 15/1/2016

***Keywords:***
*Insert keywords for your paper*

## Abstract

Both , The creativity and innovation is duty imposed by religion , also It is a need refer to reality , if the Quran addresses this issue in a brief, but the Prophet, peace be upon him implemented the whole of it , then we have found wide range texts and guidelines of the Prophet Muhammad , which calls in general for using reason in innovation and the useful and the beautiful creativity, for instance: Photos of construction , reform , innovation in science and work of art. In the research shedding light on a number of prophetic texts and guidelines that call for creativity and encourage people to the excellence and being talent, also it is investing literary, intellectual and material production in order to push the nation toward Excellencies

.

## الملخص

إن الإبداع والابتكار واجب يفرضه الدّين وضرورة يُحتّمها الواقع، فإذا كان القرآن الكريم تناول هذا الموضوع في إيحاءات موجزة، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد جسّد ذلك قولا وعملا، وترك ثروة هائلة من النصوص والتوجيهات النبوية التي تدعو في مجملها إلى ضرورة استخدام العقل في الابتكار النافع والإبداع الجميل، واختراع ما تجود به القرائح المبدعة من صور العمران والإصلاح والتجديد في العلم والعمل والفن

في هذا البحث سأسلط الضوء على عدد من النصوص والتوجيهات النبوية التي تدعو إلى الإبداع وتشجّع على التميّز والتفوّق، وتُشيد بالمبدعين وأصحاب المواهب، وتستثمر إنتاجهم الأدبي والفكري والمادي فيما يدفع بالأمة نحو المعالي.

## المقدمة

بيننا وبين الغرب الكافر اليوم مفاوز ومسافات كبيرة، فالقوم قد اتخذوا من الإبداع والابتكار عنوان حضارتهم وسرّ تفوّقهم فراحوا يضربون في الأرض يفجرّون أنهارها ويستخرجون كنوزها ويكتشفون أسرارها، وطوّعوا كل ذلك لصناعة دنيا ملأى بالعجائب والغرائب في عالم الاختراعات والابتكار. وأمة الإسلام في مقابل هذه الثورة الهائلة تصارع التخلف والجمود وتعيش على فُتاة ما تجود به الحضارة الغربية، وأساءت بذلك إلى دينها وتاريخها المشرق.

والسُؤال الذي يُطرح: أين مكمن الخلل؟، في المسلم الذي أساء وعصى ونكص على طريق الهداية فغوى. أم في نصوص الشّرع التي لم يجد فيها ما يدفعه إلى تحريك العقل وتفجير طاقات التفكير والإبداع؟.

أعتقد أن الحضارة المشرقة التي صنعها الأسلاف والتي فاضت بخيراتها على العالم طوال قرون ما كان لها لتكون لولا إحساسهم بأن الإبداع والابتكار واجب يفرضه الدّين وضرورة يُحتّمها الواقع، فَهِموا كل ذلك من خلال آيات الرحمن وسنّة سيد ولد عدنان عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

فإذا كان القرآن الكريم تناول هذا الموضوع في إيحاءات موجزة فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد جسّد ذلك قولا وعملا وترك ثروة هائلة من النصوص والتوجيهات النبوية التي تدعو في مجملها إلى ضرورة استخدام العقل في الابتكار النافع والإبداع الجميل، واختراع ما تجود به القرائح المبدعة من صور العمران والإصلاح والتجديد في العلم والعمل والفن، وفي هذا جاء الحديث الصحيح: (من سنّ في الإسلام سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء...) [1].

من هذا المنطلق تولّدت رغبة الكتابة في هذا الموضوع الهام والخطير. موضوع "الإبداع والابتكار في السنّة النبوية" .

والعزم معقود –بتوفيق الله– على جمع عدد من النصوص والتوجيهات النبوية التي تدعو إلى الإبداع وتشجّع على التميّز والتفوّق وتُشيد بالمبدعين وأصحاب المواهب، وتستثمر إنتاجهم الأدبي والفكري والمادي فيما يدفع بالأمة نحو المعالي.

واخترت أن أتناول هذا الموضوع من خلال المحاور الآتية:

---

([1])– مسلم كتاب العلم، باب من سنّ سنّة حسنة أوسيئة (شرح النووي8/392)، وكذا في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، (4/108)، من حديث جرير بن عبد الله.

**أولا: الفرق بين الإبداع والابتداع:** من خلال محاولة إزالة الغموض والاشتباه بين عدد من النصوص النبوية نحو: (إياكم ومحدثات الأمور ...الحديث) [2]. وحديث (من سنّ في الإسلام سُنّة حسنة...) [3].

**ثانيا: ترغيب السنّة في طلب العلم النافع والحثّ على الاجتهاد:** على اعتبار أن الإبداع والابتكار لا يمكن أن ينموَا إلاّ في أجواء العلم والمعرفة والاجتهاد، والنصوص في هذا كثيرة.

**ثالثا: السنّة والحثّ على العمل وإتقانه:** لأن إتقان العمل مقدمة ضرورية لانطلاق شرارة الإبداع.

**رابعا: السنّة تدفع إلى الإيجابية وروح المبادرة:** والإيجابية البنّاءة من ركائز الفقه الحضاري التي أكدّتها السنّة وذلك بالاهتمام بالعمل لا الكلام والبناء لا الهدم. وبإضاءة الشموع لا بلعن الظلام. والإبداع قمة الإيجابية.

**خامسا: السنّة والدعوة إلى الانفتاح على معارف وتجارب الأمم والحضارات الأخرى:** فيما له تعلّق بأمور الدنيا وشؤون الحياة.

**الخاتمة:** وضمّنتها عددا من النتائج والتوصيات.

**ومن الأهداف** التي توخّيتها في اختياري للكتابة في هذا الموضوع:

1- الكشف عن جانب من القيم الحضارية التي تزخر بها السنّة النبوية.

2- محاولة إبراز النصوص النبوية التي تدعوا إلى الإبداع والابتكار تلميحا أو تصريحا إلى دائرة الضّوء بعد أن طواها النّسيان.

3- إعطاء هذه النصوص أبعادها ومعانيها الحقيقية بعيدا عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

4- محاولة النهوض بواقع الأمة من خلال إبراز هذه النصوص وتفعيلها على أرض الواقع لتنتقل من دائرة الجمود إلى دائرة الإيجابية والتحرك والإبداع.

5- دفع شبهة الجمود والعداء لكل ما هو جديد عن الشريعة الإسلامية.

ولابدّ أن أعترف بأنني قد وجدت صعوبة في إعداد هذا الموضوع، لأنني لم أجد –في حدود اجتهادي- من عالج موضوع الإبداع من هذه الزّاوية، وإنما هي أفكار وخواطر منثورة هنا وهناك استفدنا من بعضها، وكان لنا النصيب الأوفر في نسج محاور وأفكار هذا الموضوع واختيار وترتيب أحاديثه. فالحمد لله على التوفيق والسداد .

(2)- رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وسيأتي تخريجه تفصيلا في موضعه من البحث.

(3)- سبق تخريجه.

**أولا: تحديد المفاهيم وضبط المصطلحات**

**1- تعريف مصطلحي الإبداع والابتكار**

**أ- تعريف الإبداع لغة:**

اتفقت جميع المعاجم اللغوية على معنى موحد للإبداع وإن اختلفت قليلا في الصياغات، ومن هذه التعاريف.

قال ابن فارس: (أبدعت الشيء قولا أو فعلا، إذا ابتدأته لا عن سابق مثال...)[4].

وقال الفيومي: (أبدع الله تعالى الخلق إبداعا، خلقهم لا على مثال، وأبدعت الشيء وابتدعته، استخرجته وأحدثته ..) [5].

وقال الرازي: (أبدع الشيء إذا اخترعه لا على مثال، والله بديع السموات والأرض أي مبدعها) [6].

وصفة المبدع بهذا المعنى يمكن أن تطلق على الإنسان أيضا ما دام قد أنشأ ما لم يسبق إليه، كما قال القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى :﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[7] (...وكل من أنشأ ما لم يُسبق إليه قيل له مُبدع) [8].

ويقول الشريف الجرجاني: (الإبداع هو إيجاد الشيء من لا شيء، وقيل الإبداع تأسيس الشيء عن الشيء، والخلق إيجاد شيء من شيء قال تعالى: "بديع السموات والأرض" وقال: "خلق الإنسان" ولم يقل بديع الإنسان[9].

والعرب كانت تطلق على من هكذا صفته اسم المبتدع يقول ابن جرير الطبري عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (...كل محدث فعلا أو قولا لم يتقدمه فيه متقدم فإن العرب تسميه مبتدعا ومن ذلك قول الأعشى ابن ثعلبة في مدح هوذة ابن علي الحنفي.

**يدعى إلى قول سادات الرجال إذا أبدوا له الحزم أو ماشاءه ابتدعا)** [10].

---

([4])- معجم مقاييس اللغة مادة (بدع)، (209/1).

([5])- المصباح المنير (53/1).

([6])- مختار الصحاح مادة (بدع)، ص:43.

([7])- البقرة 117.

([8])- الجامع لأحكام القرآن (87/2).

([9])- كتاب التعريفات، ص 118.

([10])- جامع البيان في تفسير القرآن (104/1).

**ب– تعريف الابتكار لغة:** وما قيل عن الإبداع يقال عن الابتكار أيضا، فما ورد من معانيه في معاجم اللغة واحد مع اختلافات طفيفة في الصياغات يمكن أن نوجزها في هذا التعريف.(الابتكار هو الحصول على الشيء باكرا أي غدوة والاستئثار ببواكيره أي بأول ثمره) [11] .

**ج– الجمع بين المصطلحين:**

من التعاريف السابقة نلحظ أن مصطلحي الإبداع والابتكار يجمعهما معنى الجدة والابتداء والسبق، لذلك اعتبرا من المترادفات بهذا المعنى، وإن كان يبدوا على ظاهريهما نوع من التفرد ولكنهما في الواقع التطبيقي متلازمان ومصدرهما واحد هو فكر الإنسان[12].

وفي عصرنا مع كثرة الاختراع والإنتاج على المستوى الأدبي والعلمي والمادي، صار لا يذكر مصطلح الإبداع إلا رديفا للابتكار والعكس، وإذا استقل أحدهما بالذكر فهو يدل على ما يدل عليه الآخر إذا كان سياق الكلام في هذا الموضوع، لذلك فالتعريف الاصطلاحي الذي سنختاره هو لكليهما للاعتبار الذي سبق.

**د– التعريف الاصطلاحي للإبداع والابتكار:**

لم يكن الإبداع موضوعا قائما بذاته مستقلا بدلالاته، لذلك لم يفرده علماء الأمة بالدراسة والتحليل ولم يفردوا له تعريفا مصطلحيا خاصا به، ربما لأن دلالات هذا المفهوم متضمنة في مفاهيم إسلامية كثيرة تتوزع على شتى صنوف الطاعات من عبادات ومعاملات وأخلاق وإن كان بروزه يتجلى أكثر في مفاهيم خاصة، كطلب العلم والاجتهاد فيه، وفي جهود عظماء الإسلام بحثا وتصنيفا، وفي نظام الحكم وتنظيم مؤسساته، وفي إنجازات القادة والولاة والفقهاء والعلماء، وذوي المواهب في جميع مناحي الحياة الإسلامية، لكن من خلال ما سبق ذكره من التعاريف اللغوية وما سيأتي عرضه من الأحاديث والآثار النبوية والتي تتوزع على شتى الموضوعات والمفاهيم الإسلامية بدا لي أن للإبداع من حيث الاصطلاح معنيين متقاربين أحدهما خاص ينطبق على كل سبق واختراع لا على مثال أو قريبا من هذا. والمعنى العام الذي يتّسق والأخبار النبوية التي سنوردها في عرضنا هذا والتي يفهم منها أن صفة الإبداع يمكن أن تطلق على كل عمل بنّاء يتميّز بالجودة والإتقان سبق إليه صاحبه أم لم يسبق.

---

([11])– المعجم المفصل في اللغة والأدب مادة (ابتكار) ص 24 . وهذا التعريف وردت معانيه في كثير من المعاجم اللغوية، أنظر: معجم مقاييس اللغة، مادة (بكر) (287/1)، ومختار الصحاح مادة (بكر) ص 61، المصباح المنير مادة (بكر) (81/1)، لسان العرب مادة (بكر) (77/4).

(12)– أنظر سيكولوجية الإبداع في الحياة، د: عبد العلي الجسماني، ص11.

**المعنى الاصطلاحي الخاص:**

هو الإنشاء والاختراع في صورة غير مألوفة وصفات غير معهودة أو بالأقل في شكل نادر جدا ومتميّز أشدّ تميّزٍ[13].

**المعنى الاصطلاحي العام:**

كل عمل يؤدّيه الفرد في مجتمعه تكون غايته منه البناء، على أن يدأب فيه ويثابر وينتج[14].

**ثانيا: الفرق بين الإبداع والابتداع**

إن كل من يقف عند حديث العرباض بن سارية المرفوع (وإيّاكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) [15]. مما ليس له فقه في الدين ولا حظّ من يقين، يظنّ أنّ الإسلام يحارب كلّ جديد مستحدث وكل بديع مخترع، تماما كما كانت الكنيسة تفعل مع أرباب العلم وأصحاب النظريات من أهل الاكتشاف والابتكار والمخترعات. وربما زاد هؤلاء إلى دليلهم هذا أدلّة أخرى لا نشك في صحّتها ولا نرتاب في قوّتها من مثل حديث عائشة المرفوع ( من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ) [16]. حتى يؤكد صحة نظرته وصواب وجهته، ويعتمد على فهمه القاصر لهذه النصوص النبوية لإشهار سيف الابتداع في الدين في وجه كل من يضيف جديدا نافعا في مجال العلم والمعرفة، أو في ميدان العمل والابتكار. وغفل هؤلاء عن سماحة الدين ويسر الإسلام التي تأكدت بحشد وافر من النصوص النبوية الثابتة، فضلا عن نصوص القرآن، لعل من أبرزها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:(إنّ الدّين يسر ولن يشادّ الدّين أحد إلاّ غلبه) [17].

إنّ في ديننا فسحة تتّسع لكل المبدعين ممن يعملون على الابتكار والتجديد لصناعة غدٍ أفضل لأمة الإسلام التي تعاني وهدة التخلف وهمّ التبعية، يتحركون لصناعة الحياة وهم مسلحون بنصوص ثابتة وفهوم ثاقبة تجمع بين جملة الأحاديث والآثار في هذا الموضوع، وتفرّق بين ما هو مُبتدع مشروع ومبتدع ممنوع، يتحركون على إيقاع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سنّ

---

(13)- المعجم المفصل في اللغة والأدب، ص24 –بتصرف يسير-.

(14)- سيكولوجية الإبداع في الحياة، ص54.

(15)- هو جزء من حديث العرباض بن سارية الذي رواه أبو داود –واللفظ له- كتاب السنّة، باب في لزوم السنّة، برقم 4607 (200/4)، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنّة واجتناب البدعة، برقم 2676 (43/5)-طبعة شاكر-، وابن ماجه، كتاب المقدمة، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، برقم 4443 (16،17/1)، الدارمي باب اتباع السنّة (44/1)، وقد ذكره الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم 2157 (341/2) وصحيح سنن ابن ماجه برقم 42 (14/1).

(16)- البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فهو مردود، برقم 2697 (الفتح 301/5). ومسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، برقم 1718 (مسلم بشرح النووي 213/6).

(17)- البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، برقم 39 (الفتح 93/1).

في الإسلام سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء) [18].

هذا الحديث اعتبره الإمام النّووي مخصصا لعموم النهي الوارد عن البدع والمستحدثات في النصوص التي سبق ذكرها، وفي ذلك إقرار بوجود البدعة المحمودة في مقابل البدعة المذمومة. يقول –رحمه الله–:(وفي هذا الحديث تخصيص قوله صلى الله عليه وسلم: "كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة" وأن المراد به المحدثات الباطلة والبدع المذمومة)[19].

وأكدّ ذلك في موضع آخر عند تعليقه على قوله صلى الله عليه وسلم:"وكل بدعة ضلالة" حيث قال:(هذا عام مخصوص والمراد غالب البدع) [20].

والحكم نفسه يفهم من كلام بعض الأئمة الأعلام ومنهم الإمام الشافعي ﷺ الذي يقول:(البدعة بدعتان، بدعة محمودة وبدعة مذمومة فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم) [21].

ويقول أيضا: (والمحدثات ضربان: ما أُحدث مما يخالف كتابا أو سنّة أو أثرا أو إجماعا، فهذه البدعة الضلال، وما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا، وهذه مُحدثة غير مذمومة) [22].

ويزيد الإمام القرطبي الأمر شرحا وبيانا فيقول عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: (كل بدعة صدرت من مخلوق لا يخلو أن يكون لها أصل في الشّرع أو لا، فإن كان لها أصل كانت واقعة تحت عموم ما ندب الله إليه، وحضّ رسوله عليه فهي في حيز المدح، وإن لم يكن مثاله موجود كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف، فهذا فعله من الأفعال المحمودة، وإن لم يكن الفاعل قد سبق عليه، ويعضّد هذا قول عمر ﷺ"نعمة البدعة هذه"[23] لما كانت من أفعال الخير وداخلة في حيز المدح، وهي وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم قد صلّاها –يريد صلاة التراويح– إلا أنّه تركها ولم يحافظ عليها، ولا جمع الناس عليها. فمحافظة عمر ﷺ عليها، وجمع الناس لها وندبهم إليها بدعة ولكنّها بدعة محمودة ممدوحة. وإن كانت في خلاف ما أمر الله به ورسوله فهي في حيز الذمّ والإنكار، قال معناه الخطابي وغيره، قلت: وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته:"وشرّ

(18)– مسلم كتاب العلم، باب من سنّ سنّة حسنة أوسيئة (شرح النووي392/8)، وكذا في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، (108/4)، من حديث جرير بن عبد الله.

(19)– شرح النووي على صحيح مسلم (110/4).

(20)– المصدر نفسه، (338/3).

(21)– جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، (131/2).

(22)– المصدر السابق، (131/2).

(23)– رواه البخاري، كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان برقم2010(الفتح 250/4).

الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة" يريد لم يوافق كتابا أو سنة أو عمل الصحابة ﷺ وقد بيّن هذا بقوله:"من سنّ في الإسلام سنّة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنّة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء" وهذا إشارة إلى ما ابتدع من قبيح وحسن، وهو أصل هذا الباب) [24]. وعلى نفس النّسق سار الإمام ابن دقيق العيد فقال: (اعلم أن المحدث على قسمين: مُحدث ليس له أصل في الشريعة فهذا باطل مذموم، ومحدث يحمل النظير على النظير فهذا ليس بمذموم لأنّ لفظ المحدث ولفظ البدعة لا يُذمّان لمجرد الاسم بل لمعنى المخالفة للسنّة والداعي إلى الضلالة ولا يُذمّ ذلك مطلقا، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[25]. وقال عمر ﷺ: نعمت البدعة هذه)[26].

وقد لخّص فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي الفرق بين الإبداع والابتداع تلخيصا بديعا نثبته هنا كحوصلة لما سبق إيراده في المسألة حيث قال:(ومن مفاهيم هذا الفقه الحضاري، أنّ الأصل في أمور الدّين هو الإتّباع، وفي شؤون الدنيا هو الابتداع فالدين قد أكمله الله تعالى وأتمّ علينا به النعمة، فلا يقبل الزيادة كما لا يقبل النقصان ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً﴾[27]. والتّعبد لله تعالى يقوم على أصليين كبيرين، الأول: ألا يّعبد إلا الله تعالى، وكل ما عبده النّاس من نجم في السماء أو صنم في الأرض، أو نبات أو حيوان أو إنسان فهو باطل، هذا ما جاء به كل رسل الله. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[28].

والثاني: ألا يُعبد الله تعالى إلا بما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله، وكل من أحدث في دين الله أمرا لم يجيء به قرآن ولا سنّة فهو مردود على صاحبه كما في الحديث الصحيح "من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردّ". "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ"[29]. وفي الحديث الآخر: "إيّاكم ومحدثات الأمور فإنّ كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"[30]. وبهذا حمى النبي صلى الله عليه وسلم الدين من المحدثات والمبتدعات التي دخلت على الأديان السابقة فحرّفتها، وأضافت إليها ما ليس منها، وعسّرت منها ما يسّره الله، وحرّمت ما أحلّه، أو أحلّت ما حرّمه –إلى أن يقول فضيلته– وفي مقابل هذا التشديد في أمر الدين، وإيجاب

---

(24)– الجامع لأحكام القرآن، (87/2).

(25)– الأنبياء: 2.

(26)– شرح الأربعين نووية، لابن دقيق، ص105.

(27)– المائدة:3.

(28)– الأنبياء:25

(29)– الحديث الأول سبق تخريجه، والثاني رواه مسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (شرح النووي213/6).

(30)– سبق تخريجه.

الإتباع فيه، كان التسهيل في أمر الدنيا وفتح باب الإبداع والابتكار في كل ما يتعلق بها ولا غَرْوَ أن حثّ الرسول الكريم على ابتكار مناهج الخير، واختراع ما تجود به القرائح المبدعة من صور العمران والإصلاح والتجديد في العلم والعمل والفن. وفي هذا جاء الحديث الصحيح "من سنّ في الإسلام سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء" [31] [32].

**ثالثا: ترغيب السنّة النّبوية في طلب العلم والحث على الاجتهاد**

إنّ الكلام عن العلم والاجتهاد هو نفسه الحديث عن الإبداع، لأنه لا يمكن أن نتصور إبداعا بلا علم يصنعه واجتهاد يدفعه، كما لا يمكن للإبداع والابتكار أن ينموا إلاّ في أجواء العلم والمعرفة والاجتهاد، لهذا السبب وحرصا من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن تتميز هذه الأمة في عطاءاتها الفكرية والعملية، خصّ جزءا مُهما من توجيهاته للحث على طلب العلم، والعمل على بذل الوسع والاجتهاد لذلك لا يخلو كتاب من كتب الرواية من أحاديث وآثار تعالج هذا الموضوع حتى غدا "كتاب العلم" ثابتا أساسيا في كل دواوين السنّة تقريبا، بل إنّ البخاري صدّر به صحيحه ولم يقدّم عليه سوى كتاب الإيمان وذلك تجسيدا لما أُثر عنه:(العلم قبل القول والعمل لقول الله ﷻ ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾[33] فبدأ بالعلم)[34].

ولو أراد محص عدّ الأحاديث الواردة في فضل العلم وأهله والترغيب في طلبه، لأعياه الاجتهاد وعجز عن بلوغ المراد نظرا لكثرة النصوص ووفرة الأدلة. وليس هناك دين من الأديان، ولا شريعة من الشرائع رفعت مرتبة طلب العلم إلى درجة الواجبات والفرائض كشريعة الإسلام. فهذا نبينا صلى الله عليه وسلم يقول:(طلب العلم فريضة على كل مسلم) [35] العلم النافع بمفهومه الواسع الذي يشمل علوم الدين والدنيا. يقول محمد أحمد كنعان:(وكلمة "العلم" اسم للجنس، فهو شامل للعلوم النافعة كافة، بدءا من العلم الشرعي الديني الضروري الواجب على كل مسلم ومسلمة، وهو معرفة أركان الإيمان والإسلام، وكيفية أداء الفرائض المتوجبة على المكلف، وانتقالا إلى سائر العلوم التي تساعد المسلمين على إصلاح دنياهم والعمل لصالحهم في أخراهم) [36].

---

(31)- سبق تخريجه.

(32)- السنة مصدرا لمعرفة والحضارة ص(245، 246).

(33)- سورة محمد: 19.

(34)- شرح السنة للبغوي (226/1) ومقولة البخاري هذه هي عنوان ترجمة لأحد أبواب كتاب العلم في صحيحه (أنظر الفتح: 159/1)

(35)- ابن ماجه. كتاب المقدمة باب فضل العلماء والحثّ على طلب العلم، برقم 224 (81/1) وقد صححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم 183 (44/1)

(36)- سبيل النهضة منهج وهدف، محمد أحمد كنعان، ص 116.

وحتى تكون الرغبة في طلب العلم جامحة، عمل النبي صلى الله عليه وسلم في توجيهاته على تزيين طريق العلم وإجزال المثوبة لطالبه، وفتح أبواب الجنان سالكه، ورفع مقام العلماء لتجاور منازل الأنبياء، وهاكم عددا من الأحاديث يؤكد هذه المعاني.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم:(من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهّل الله له به طريقا إلى الجنّة)[37]

وفي حديث أتمّ من الذي سبق وأعمق منه معنى، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه أبو الدرداء: (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهّل الله له طريقا إلى الجنّة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإنّ طالب العلم يستغفر له من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء، وإنّ فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورّثوا دينارا ولا درهما إنما ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظّ وافر)[38] .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لن يشبع المؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنّة)[39]. والمقصود بالخير هنا هو العلم[40].

وعن أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(ألا إن هذه الدنيا ملعونة ملعونٌ ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم) [41].

---

([37])- أخرجه مسلم كجزء من حديث (من نفّس عن مسلم كربة... الحديث) كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر رقم 2699 (شرح النووي 19/9). والترمذي –واللفظ له– أبواب العلم، باب فضل طلب العلم رقم 2784 (137/4). وأبو داود كتاب العلم، باب في فضل العلم برقم 3643 (317/3). وابن ماجة في المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم –رواه بتمامه كما عند مسلم– برقم 225 (82/1). وأحمد في مسنده (طبعة شاكر) برقم 8299 (138/16). ورواه أيضا من نفس الطريق بطوله كما عند مسلم برقم 7421 (161/13) كلهم رووه من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا.

([38])- رواه الترمذي في أبواب العلم، باب في فضل الفقه والعبادة برقم 2823 (153/4). وأبو داود كتاب العلم باب في فضل العلم، برقم 3641 (317/3). وابن ماجه –واللفظ له– المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، برقم 223 (81/1). أحمد في مسنده (196/5)، كلهم رووه عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن داود بن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء مرفوعا متصلا عدا الترمذي الذي رواه عن عاصم عن قيس بن كثير وحكم عليه بعدم الاتصال. وقد صحّح الحديث الشيخ الألباني –رحمه الله– أنظره في صحيح سنن أبي داود برقم 3641 (407/2) وصحيح سنن الترمذي برقم 2159 (342/2) وصحيح سنن ابن ماجة برقم 182 (43/1).

(39)- الترمذي أبواب العلم، باب فضل الفقه على العبادة، برقم 2827 (155/4) وقد حكم السيوطي بصحته في الجامع الصغير(424/2).

(40)- أنظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري (380/7).

(41)- الترمذي أبواب الزهد باب ما جاء في هوان الدنيا على الله، برقم 2424 (384/3). ابن ماجه كتاب الزهد باب مثل الدنيا برقم 4112 (1377/2) كلاهما عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن عطاء بن قرّة عن عبد الله بن ضمرة عن أبي هريرة مرفوعا، وقد حكم عليه الألباني بالحُسن، أنظر صحيح سنن الترمذي برقم 1891 (269/2)، وصحيح سنن ابن ماجة برقم 3320 (395/2).

وأجر هذا العلم لا يتوقف بموت صاحبه بل يستمر في الورود عليه في قبره ليثري رصيده من الأجور والحسنات مادام هذا العلم ينتفع به الناس، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلاّ من ثلاثة: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوا له) (42).

وعنه أيضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(إنّ مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علّمه ونشره وولدا صالحا تركه، ومصحفا ورّثه أو مسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه أو نهرا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته)(43).

ولأن الأمثال لها أبلغ الأثر في التعبير عن المعنى المراد والتأثير في نفسية المستمع عمل النبي صلى الله عليه وسلم على عقد المقارنة بين الفقيه والجاهل بمَثَلٍ عملي شاهد، غاية في البلاغة والتميّز. فعن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله به النّاس فشربوا وسقوا وزرعوا، وكانت منها طائفة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله ما بعثني الله به، فعلم وعمل وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به) (44).

يقول البغوي في شرح هذا الحديث: (فالنّبي جعل مَثَلُ العالم كمثل المطر، ومثل قلوب الناس فيه كمثل الأرض في قبول الماء فشبّه من تحمّل العلم والحديث، وتفقّه فيه بالأرض الطيّبة أصابها المطر فتنبت وانتفع بها النّاس...) (45).

ولا شك أن العلم النافع هو ذاك العلم الذي تخلص فيه لله نيّة الطلب، ويحمل من مواصفات الإحسان والإتقان والإبداع، وهذا هو العلم الذي يَرْفَع وعكسه الذي يخفض، لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأول في طلبه، والسعي إلى نيله، وهذا ما يفسّر كثرة التجائه صلى الله عليه وسلم إلى الله ﷻ بالطلب اللحوح في الدعاء بأن يرزقه العلم النافع ويُعيذه من العلوم

(42)- رواه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم 1631 (شرح النووي 76/6). والترمذي أبواب الأحكام باب ما جاء في الوقف برقم 1390 (418/2) والنسائي كتاب الوصايا، باب فضل الصدقة على الميت، برقم 3653 (561/6)، وأبو داود كتاب الوصايا، باب ما جاء في الصدقة عن الميت، برقم 2880 (117/3)، كلهم رووه عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة عدا الترمذي الذي رواه عن العلاء عن أبي هريرة مباشرة وقال: حسن صحيح.

(43)- ابن ماجة، المقدمة باب ثواب معلم الناس الخير، برقم 242 (88/1) وقد حسنه الألباني .أنظر صحيح سنن ابن ماجه، برقم 198 (46/1).

(44)- البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلّم، برقم 79 (الفتح 175/1)، ومسلم كتاب الفضائل، بيان مثل ما بُعث النّبي ﷺ من الهدى والعلم 2282 (شرح النووي 41/8)، كلاهما عن محمد بن العلاء عن حماد بن سلمة عن بريدة عن أبي الدرداء عن أبي موسى الأشعري مرفوعا.

(45)- شرح السنة للبغوي (231/1).

الضارة المؤذية، فكان من جملة دعائه ما ورد عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم إنّي أسألك علما نافعا، وأعوذ بك من علم لا ينفع) (46).

وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: ( اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وعمل لا يُرفع، وقلب لا يخشع، وقول لا يُسمع) (47).

وما رواه أبو هريرة مرفوعا: (اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني، وزدني علما، الحمد لله على كل حال وأعوذ بالله من حال أهل النار) (48).

ولقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يُجسد هذه الأقوال والتوجيهات على أرض الواقع حتى يراها الناس حيةً تسعى، وأن يُجسدها في المقربين إليه حتى يُحيط نفسه بكوكبة من العلماء النابهين الذين يرتقون بمستوى الأمة من مرحلة مجرد القراءة والكتابة، إلى مستوى الإبداع والابتكار، وأبرز مثال على ذلك فداء أسرى بدر من المشركين ممن لا مال لهم مقابل تعليمهم لمن لا يقرأ من المسلمين. فقد روى ابن سعد عن عامر الشعبي قال: (أسر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر سبعين أسيرا، وكان يُفادي بهم على قدر أموالهم، وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن له فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة فعلّمهم فإذا حذقوا فهو فداؤه) (49).

وعلّق فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي على هذا بالقول (وذكر –أي ابن سعد– أن زيد بن ثابت أحد كُتَّاب الوحي، كان ممن علّمهم أسرى قريش، ومعنى هذا أن خطّة النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن قائمة على مجرد "فك الخط" كما يقولون، بل لا بد من درجة "الحذق" و"الإتقان" حتى لا ينسى ويرتدّ إلى الأمّيّة من جديد) (50).

---

(46)– ابن حبان في صحيحه، كتاب العلم، باب ما يجب على المرء أن يسأل الله جل وعلا العلم النافع، برقم 82، أنظر الإحسان بترتيب صحيح بن حبان لابن بلبان(149/1)، وقد ذكره الألباني في الصحيحة برقم 1511 (16/4) بلفظ (سلوا الله علما نافعا، وتعوّذوا بالله من علم لا ينفع).

(47)– ابن حبان، كتاب العلم، باب ذكر ما يستحب للمرء أن يقرن إلى ما ذكرنا في التعوّذ منها أشياء معلومة برقم 83، أنظر الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (149/1).

(48)– أخرجه الترمذي كتاب الدعوات، باب في العفو والعافية، برقم 3599 (540/58 طبعة شاكر)، وابن ماجه، المقدمة باب الانتفاع بالعلم والعمل، برقم 251 (92/1)، وأيضا في كتابه الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ برقم 3833 (1260/2) وقد صححه الألباني دون عبارة (الحمد لله على كل حال...إلخ) أنظر صحيح سنن ابن ماجه، برقم 202 (47/1) وأيضا برقم 3091 (325/2).

(49)– الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد (16/2).

(50)– السنة مصدرا للمعرفة والحضارة، د: يوسف القرضاوي، ص183.

بل إن الحذق والإتقان والإبداع في العلم والفقه والفهم في الدين جعله النبي صلى الله عليه وسلم من علامات الخيريّة والفضل، فعن معاوية بن أبي سفيان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من يرد الله به خيرا يفقّه في الدين) [51]. وحديث كهذا يدفع إلى الجدّ والاجتهاد ويُغري للوصول بالمكتسب من العلم إلى مرحلة الإتقان والإبداع، والذي تجلى في أرقى صورة في تراثنا الفكري فيما يُسمى "بالاجتهاد" بالمفهوم الفقهي الأصولي على اعتبار أن الاجتهاد كما عرّفه الأصوليون (هو بذل الوسع في نيل حكم شرعي عملي بطريق الاستنباط) [52].

والاستنباط لا يكون إلا في ظل غياب النص الشرعي الظاهر والمباشر، وهنا تكمن عملية الإبداع، لأن الأمر يتطلب من الفقيه الفهم الثاقب والنظر العميق والإحاطة الشاملة بالمسألة المعروضة للوصول إلى حكم شرعي يُتوخى فيه الصواب قدر الإمكان، يقول الدكتور محمد أحمد الراشد:(كما أن قضية الاجتهاد الفقهي هي قضية إبداع أولا وأخيرا، بل هي ذُروة الإبداع، لأن شعور المجتهد بالمسؤولية الأخروية وخضوعه لضغوط التقوى يجعلانه يحتاط حين اجتهاده أشدّ الاحتياط، فيعصر عقله عصرا لإيجاد مخرج من مُشكلة معروضة...) [53].

ومن هنا كانت إشادة رسول الله صلى الله عليه وسلم برسوله إلى اليمن معاذ بن جبل حينما تعهّد له بأن يستفرغ جهده ويجتهد في حل المسائل المعروضة عليه وفق ما يصل إليه نظره في حال غياب النص القرآني والنبوي، فلقد جاء في الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعث معاذا إلى اليمن قال:(كيف تقضي إذا عرض لك قضاء، قال: أقضي بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله، قال: فبسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فإن لم تجد في سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في كتاب الله؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدره وقال: الحمد لله الذي وفّق رسول رسول الله لما يُرضي رسول الله) [54].

---

(51)- البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، برقم 71 (الفتح 164/1). وأخرجه في مواضع أخر برقم (3116و7312)، ومسلم كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، برقم1037 (شرح النووي 130/4). وكل منهما رواه من طريق لم يشتركا فيه إلا في اسم راوي الحديث عن رسول الله ﷺ معاوية بن أبي سفيان.

(52)- إرشاد الفحول الشوكاني، ص220.

(53)- منهجية التربية الدعوية، ص303.

(54)- أبو داود –واللفظ له- كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء، برقم 3592 (303/3)، الترمذي كتاب الأحكام، باب ما جاء في القاضي كيف يقضي، برقم 1227 (616/3)، كلاهما رواياه من طريق شعبة عن أبي عون الثقفي عن الحارث بن عمرو عن أناس من أهل حمص من أصحاب معاذ بن جبل، واختلف العلماء في صحته من عدمها اختلافا شديدا، وممن قال بصحته أبو بكر بن العربي والخطيب البغدادي، وقد بسط العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري –رحمه الله- القول فيه وعرض إلى جملة الأراء وتوصل إلى الحكم بصحته، بل اعتبر مدلوله مع ما احتفّ به من القرائن والروايات قد بلغ حد التواتر المعنوي، أنظر مقالات الكوثري، ص (154-158)

إن هذا الزخم الكبير من التوجيهات النّبوية والتي لم نعرض إلا لجزء يسير منها، هو الذي جعل المسلمين الأوائل يندفعون في كل اتجاه لنيل المعارف وتحصيل العلوم فتحولت بذلك هذه الأمة الأمّية إلى منارة للعلم ومركز إشعاع حضاري استفادت منه البشرية جمعاء، يقول الشيخ عبد الحليم محمود–رحمه الله–: (وكان من نتيجة ذلك أن اندفع المسلمون إلى البحث في جميع ميادين الحياة روحية كانت أو عقلية أو مادية. ونشأ عن ذلك الحضارة الإسلامية التي أنتجت أمثال جابر بن حيان في الكيمياء، وابن الهيثم في الطبيعيات، والرازي في الطب، وابن سينا في الطب، كذلك والفلسفة، والغزالي في الجانب الروحي، وابن رشد في الفلسفة العقلية، وابن خلدون في الاجتماع والتاريخ، وكثيرين غيرهم) (55).

**رابعا: توجيهات نبوية في الحث على العمل وإتقانه**

لا يمكن لشرارة الإبداع أن تنطلق إلا بالعمل، فالبطالة والإبداع ضدّان لا يلتقيان والكسل والابتكار عدوان لا يجتمعان، ولأنّ الإسلام حريص كل الحرص على تغليب الجانب العملي على الجانب النظري تظافرت النصوص في الدعوة إلى العمل لضمان مقومات الحياة، وليس هناك أفضل من أن يباشر الإنسان عمله بيده، فعن المقدام بن معدي كرب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما أكل أحد طعاما قطّ خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإنّ نبيّ الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده) (56). قال الحافظ في الفتح: (وفي الحديث فضل العمل باليد وتقديم ما يباشره الشخص بنفسه على ما يباشره بغيره، والحكمة في تخصيص داود بالذكر أن اقتصاره في أكله على ما يعمله بيده لم يكن من الحاجة لأنّه كان خليفة في الأرض كما قال الله تعالى، وإنّما ابتغى الأكل من طريق الأفضل) (57).

ومثله الذي رواه رافع بن خديج قال: قيل يا رسول الله (أي الكسب أطيب قال: عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور) (58).

وحتى لا يعيش الإنسان عالة على غيره مدفوعا بالأبواب، دعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الاسترزاق والاحتراف حتى ولو تعلّق الأمر بمهن وضيعة حسب العرف الاجتماعي أو منهكة للجهد بالمقياس البدني ما دامت من حلال. فعن أبي هريرة رضي الله عنه

(55)– شخصية المسلم مقال مجموع ضمن عدد من المقالات في كتاب بعنوان التوجيه الإسلامي للشباب ص144.

(56)– البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، برقم 2072 (الفتح 303/4).

(57)– الفتح (306/4).

(58)– أحمد في المسند (141/4)، والطبراني في الكبير والأوسط عن عبد الله بن عمر كما في الترغيب والترهيب (523/2) وقال المنذري: رواته ثقات، وقد ذكره الشيخ الألباني في "الصحيحة" برقم 607 (159/2).

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه) (59).

وفي رواية الزبير بن العوام:(لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكفّ الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) (60).

يقول الحافظ في الفتح تعليقا على الروايتين:( وفيه الحضّ على التعفّف عن المسألة والتنزّه عنها ولو امتهن المرء نفسه في طلب الرزق وارتكب المشقّة في ذلك) (61).

ولقد رفعت السنّة السقف عاليا عندما اعتبرت أن إعانة الآخرين في مجال الصنائع والحرف وتعليمهم ما لا يحسنون من أفضل الأعمال، وفي ذلك من تعميم المعارف وتصدير الخبرات ما لا يخفى على أحد. فعن أبي ذر الغفاري قال:( قلت يا رسول الله: أيّ الأعمال أفضل، قال: الإيمان بالله والجهاد في سبيله قال: قلت أيّ الرقاب أفضل، قال: أنفسها عند أهله وأكثرها ثمنا، قال: قلت فإن لم أفعل، قال: تعين صانعا أو تصنع لأخرق، قال: قلت يا رسول الله: أرأيت إن ضعُفْت عن بعض العمل، قال: تكفّ شرّك عن النّاس فإنّها صدقة منك على نفسك) (62). ومحلّ الشاهد عندنا قوله: تعين صانعا أو تصنع لأخرق(63).

يقول ابن الصلاح: (والمعنى إذا رأيت من يحاول عملا فإن كان يحسنه فأعِنْه عليه، وإن لم يحسنه فاعمله له) (64).

وهذا الحديث يمثّل قيمة من القيم الحضارية الرائعة التي تميّزت بها سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا مانع عندنا بل من صنائع المعروف أن نعلّم الآخرين بدائع الصنائع والحرف ما يرفعون به خسيستهم ويستعينون به على لأْوَاء الحياة، وهذا ما فعله الأسلاف من علماء المسلمين الذين جسّدوا هذه التعليمات حتى أوصلوا الحضارة إلى قلب أوربا نفسها، فحوّلت ظلامهم الدامس إلى نور ساطع، تُرجم اليوم إلى هذه الطفرة الصناعية الكبرى، وهذا على عكس ما يفعلونه بنا اليوم إذ يرفضون ما يُسمى

---

(59)- رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، برقم 1470 (الفتح 335/3).

(60)- رواه البخاري في نفس الكتاب والباب، برقم 1471.

(61)- الفتح (336/3).

(62)- رواه البخاري، كتاب العتق، باب أي الرقاب أفضل، برقم 2518 (الفتح 148/5) بلفظ تعين ضائعا بالضاد المعجمة وبهمزة بدل النون، وقد وُجهت هذه الرواية كما قال الحافظ بن حجر بأن المراد بالضائع ذو الضياع من فقر أو عيال، أنظر الفتح (149/5)، ورواه أيضا مسلم –واللفظ له– كتاب الإيمان باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، برقم 136 (شرح النووي 278/1)، وقال النووي:(والصحيح عند العلماء رواية الصاد المهملة والأكثر في الرواية بالمعجمة) شرح صحيح مسلم (280/1).

(63)- قال الحافظ بن حجر:(قال أهل اللغة: رجل أخرق لا صنعة له، والجمع خُرْق بضم ثم سكون، وامرأة خرقاء كذلك) أنظر الفتح (149/5).

(64)- صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط، ص262.

"بتصدير التكنولوجيا" إلى عالمنا الإسلامي حتى لا يمتلك مقومات النهوض، ويكتفون بالتعامل معنا كأسواق استهلاكية لتصريف بضائعهم.

وقيمة العمل في الإسلام لا تكمن في مجرد أنّه عمل وفقط، بل بما يتلبّس به من خصائص الجودة والإتقان والإبداع، فبقدر ما يكون العمل بديعا بقدر ما ترتفع قيمته ويعظم نفعه ويمتد. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه) (65). وفي رواية "أن يُحكمه"(66). وفي لفظ آخر عن كليب الجرمي:(إن الله يحب من العامل إذا عمل أن يُحسن) (67).

وعن شداد بن أوس قال: (ثنتان حفظتهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِبح، وليُحدّ أحدكم شفرته وليُرِح ذبيحته) (68).

وقد اعتبر الإمام النووي هذا الحديث من الأحاديث الجامعة لقواعد الإسلام(69) وهو الأمر الذي ذهب إليه جميع شراح الحديث، وذلك لما يدعوا إليه من تحسين الأعمال وإجادتها.

وعلّق فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي على هذا الموضوع بالقول: (ومن القيّم المهمة في مجال الإنتاج بعد قيمة العمل، إحسان العمل وإتقانه وليس المطلوب في الإسلام مجرد أن يعمل بل أن يعمل عملا حسنا وبعبارة أخرى أن يحسن العمل و يؤديه بإحكام وإتقان، فهذا الإحسان في العمل ليس نافلة أو فضلا أو أمرا هامشيا في نظر الإسلام بل هو فريضة دينية مكتوبة على كل مسلم) (70).

---

(65)- رواه البيهقي في شعب الإيمان، برقم (5312، 5313، 5314)، (334/4)، وأبو يعلى في مسنده برقم 4386 (349/7).وقد ذكره الألباني في الصحيحة برقم 1113 (106/3) وصحيح الجامع الصغير برقم 1880 (383/1).

(66)- رواه العسكري كما ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة، ص122-123.

(67)- البيهقي في شعب الإيمان، برقم 5315 (353/4)، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع، برقم 1891.

(68)- رواه مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، برقم 1955 (شرح النووي 94/7)

(69)- شرح صحيح مسلم للنووي (95/7).

(70)- دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي للقرضاوي، ص 158.

ويقول في موضع آخر: (إنّ النبي صلى الله عليه وسلم حثّ على إتقان أي عمل يمارسه المسلم ولو كان قتل وُزغة، ففي الحديث:"من قتل وزغة في أول ضربة كُتب له مئة حسنة، ومن قتلها في الضربة الثانية فله كذا وكذا حسنة" [71]. أي أقل من الثانية ومعنى هذا أن الإتقان مطلوب في أي عمل ولو كان تافها في نظر الناس) [72].

بمثل هذه التوجيهات النبوية والتمسك بها تحوّلت أمّتنا في زمانها الأول إلى أمّة إنتاج وإبداع فاستحقت بكل جدارة واستحقاق أن تقود العالم لقرون طويلة. يقول الأستاذ محمد قطب:(وقد ظلّت الأمة الإسلامية تحافظ على هذه التوجيهات بقدر محافظتها على الروح الإسلامية الحقيقية، فكانت من أعظم الأمم إنتاجا ومن أعظمها ثروة ومن أعظمها خبرة وإتقانا)[73]. ويقول الدكتور صبحي الصالح بعد أن سرد عددا من هذه التوجيهات النبوية التي تدعو إلى العمل والإنتاج :(ولقد كان لهذه التعاليم أبلغ الأثر في نفوس المسلمين، فأقبلوا على أنواع الصناعات يتقنونها ويحاولون التفوق فيها على غيرهم من الشعوب ولا سيما بعد أن استتبّ لهم الأمر ووجدوا – على أثر الفتوح– فرص العمل والتصنيع متاحة للجميع) [74].

**خامسا: السنة تدفع إلى الإيجابية وروح المبادرة**

ونقصد بالإيجابية، تخطي المسلم حدود النظريات إلى واقع العمل والتطبيق وتجاوزه مجرد العمل لتأمين لقمة العيش إلى الإبداع في صناعة الحياة، فالإيجابية بهذا المعنى كفيلة بحل مشكلات الأمة الكثيرة وتحقيق طموحاتها العريضة، يقول الدكتور عبد الكريم بكار:(إن أمة الإسلام تعاني من مشكلات كثيرة، ولها أيضا طموحات وآمال عريضة ومن العسير تحقيق هذه والخلاص من تلك من غير الإبداع، والتوظيف المكثف للطاقات والإمكانات العقلية التي نملكها، حين نحترم الإبداع ونحفز عليه، ونوجد الأطر التي تخدمه وترعاه، يظهر المبدعون وتسري في الأمة حيوية جديدة) [75].

ولا ينبغي أن يرتبط العمل والإبداع بمرحلة من مراحل العمر، وإنما هي عملية طويلة ومستمرة تمتد إلى آخر لحظة من لحظات الحياة، وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يؤكد هذا المعنى في أبلغ سورة وأدق تعبير وأروع تمثيل، فعن أنس بن مالك

(71)- رواه مسلم من حديث أبي هريرة، كتاب السلام، باب استحباب قتل الوزغ، برقم 2240 (شرح النووي (7/403-404).

(72)- دور القيم ص161.

(73)- منهج التربية الإسلامية، (2/247).

(74)- النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ص 400.

(75)- بناء الأجيال، ص 81.

ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل) [76].

والغراس هنا ليس مقصودا لذاته وإنما يُؤشر إلى غيره من الأعمال النافعة الجليلة التي ينبغي أن تستمر مادامت الحياة. يقول الدكتور عماد الدين خليل معلقا على الحديث (...فنعرف جيدا كيف أن الدور الحضاري للإنسان المسلم يقوم على العمل والإبداع المتواصلين منذ لحظة الوعي الأولى وحتى ساعة الحساب ونعلم تماما كيف أن الحياة الإسلامية إنما هي فعل إبداعي مستمر) [77]

ويقول الشيخ يوسف القرضاوي:( إنه رَمَز لمعنى كبير، أن العمل مطلوب لذاته وأن المسلم يتعبد لله بالعمل لعمارة الأرض، وأنه مستمر في عمله حتى تلفظ الحياة آخر أنفاسها) [78].

ولأنّ العمل لعمارة الأرض هو تجسيد لقوله تعالى:﴿ هو أَنْشأكُم مِن الأرضِ واستعمَرَكُم فِيهَا﴾[79]. أي أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه فيها من بناء مساكن وحرث للأرض وغرس أشجار وحفر أنهار وغيرها[80].

جاءت توجيهات رسول الله صلى الله عليه وسلم لتدفع إلى جملة من الأعمال النافعة التي تجسّد حقيقة العمارة التي يمتدّ نفعها إلى الإنسان والحيوان، مع ينبغي أن يكون عليه هذا الإعمار من الجودة والإتقان والإبداع. ومن هذا القبيل جاءت الدعوة إلى إحياء الأرض الموات، فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:( من أعْمَر أرضا ليست لأحد، فهو أحق) قال عروة: قضى به عمر في خلافته[81].

وعن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم:(من أحيا أرضا ميتة فهي له، وما أكلت العافية منه فهو له صدقة)[82].

---

(76)- أحمد في مسنده (191/3) وقد ذكره الألباني في "الصحيحة" برقم 09 (38/1) وقال: صحيح على شرط مسلم.

(77)- حول تشكيل العقل المسلم، ص: 110.

(78)- السنة مصدرا للمعرفة والحضارة، ص: 248.

(79)- سورة هود: 61.

(80)- الجامع لأحكام القرآن (56/10).

(81)- البخاري، كتاب المزارعة، باب من أحيا أرضا مواتا، برقم 2335 (الفتح 18/5).

(82)- أبو داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب إحياء الموات، برقم 3073 (178/3). والترمذي (طبعة شاكر)، كتاب الأحكام، باب ما ذكر في إحياء أرض الموات، 1379 (664/3). وقد ذكره الألباني في "الصحيحة" برقم 568 (111/2)، كما صحّحه أحمد شاكر وبسط القول فيه ونسب القول بتصحيحه إلى الضياء المقدسي في "المختارة" وتحسينه إلى ابن حجر في الإصابة. انظر تعليقات أحمد شاكر على كتاب الخراج ليحي بن آدم، ص: (80-82).

وعنه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من أحيا أرضا ميتة فله فيها أجر، وما أكلت العافية فهو له صدقة) [83].

قال الإمام البغوي: (وإحياء الموات يكون بالعمارة، وذلك يختلف باختلاف مقصود المحُيي من الأرض، فإن أراد دارا فلا يملك حتى يبني حواليه ويسقّف، وإن أراد بستانا، فبأن يُحوّط ويشق الأنهار ويغرس ويرتّب له الماء، وإن أراد الزراعة فبأن يجمع التراب محيطا بها ويحرث ويزرع، ويعتبر في جميع مقاصد عرف الناس) [84].

هذا وإن الدعوة إلى إحياء الأرض الموات هو عين الإبداع والابتكار وذلك مما يترتب على الإحياء من منافع جمّة يتعدّى أثرها إلى عموم الأمة ويقف على رأس هذه المنافع الحرث والبذر والغراسة والزرع والذي به يتحقّق الأمن الغذائي والذي بدوره يدفع عجلة التنمية الاقتصادية التي تعمل على تخليص الأمّة من همّ التبعية للغير.

وحتى يقبل المسلم على هذا العمل برغبة وتفانٍ، ويصنعه بإبداع وإتقان، اعتبر النبي صلى الله عليه وسلمعمله في الأرض بمثابة صدقة جارية ما دام نفعها قائما، وفي ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه أنس بن مالك (ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلاّ كان له به صدقة) [85].

قال الحافظ في الفتح:(وفي الحديث فضل الغرس والزرع والحضّ على عمارة الأرض) [86].

وفي مقابل ذلك أنكرت السنّة النبوية تعطيل الأرض الخصبة عن الزراعة، فإذا لم يستصلحها صاحبها ويُحْيِها بالزراعة والغرس فليتكرّم بإعارتها لمن هو قادر على ذلك. فعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كانت له أرض فليزرعها، فإن لم يزرعها فليمنحها أخاه) [87]. وفي رواية لمسلم "فليُزرعها أخاه" وفي أخرى عنه أيضا "فليُحرثها أخاه"[88].

فبمثل هذه الحركية النّشطة وهذا الإبداع المستمر في خدمة الأرض وعمارتها استطاعت الأمّة في الزمن الماضي أن تكون أمّة قيادة وريادة، ومحكوم علينا اليوم إذا أردنا المسارعة والسّبق، ألاّ نصادم نواميس الكون وأن نستغلّ القوانين والنظريات لاستثمار الطاقة

---

(83)- أحمد في مسنده (372/3)، والدارمي في سننه كتاب البيوع، باب من أحيا أرضا مواتا فهي له (267/2). والعافية واحد العوافي، والعوافي الطالب للحاجة، وجمعه عوافي وعفاة، قال الأعشى:

يطوف العفاة بأبوابه كطوف النصارى ببيت الوثن. انظر الاستذكار لابن عبد البر (229/8).

(84)- شرح السنّة، (405/4).

(85)- البخاري كتاب الحرث والمزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، برقم 2320 (الفتح 3/5)، ومسلم كتاب المساقاة باب فضل الغرس والزرع، برقم 1553 (شرح النووي 379/5).

(86)- الفتح (4/5).

(87)- البخاري كتاب الحرث والمزارعة، باب ما كان من أصحاب النبي ﷺ يواسي بعضهم بعضا في الزراعة والثمر، برقم 2340 (22/5)، ومسلم – واللفظ له- كتاب البيوع باب كراء الأرض، برقم 1536 (شرح النووي 365/5)، وقد رواياه أيضا من حديث أبي هريرة.

(88)- مسلم في نفس الكتاب والباب (شرح النووي 364/5).

الكامنة في هذه الأرض مراعين في ذلك عامل الزمن الذي لا يرحم، إذا أردنا أن نحوّل حاضرنا الرديء إلى مستقبل زاهر، يقول الدكتور عماد الدين الخليل: (إنّ على العقل المسلم الجديد أن يأخذ بتلابيب الطاقة التي كُشف عنها النقاب، والقوانين العلمية التي تحيل الطاقة إلى حركة وفعل وإبداع، أن يُمسك برقبة الزمن فيضيفه إلى المادة لتحقيق اللحاق بمسيرة الخصم، والسبق عليه مادامت قِيم هذا الدّين تُؤكد بإلحاح على فكرة الزمن، وعلى أنّ المؤمن الحق هو الذي يعرف كيف يسارع وكيف يسبق) [89].

ولا سبق على الخصم من غير إبداع وإتقان في كل شيء، والمسلم الحقّ هو ذاك الذي لا يقنع بالدون ولا يرضى إلاّ بمعالي الأمور، ويترفّع عن التوافه والسفاسف والقشور كما جاء في الحديث الشريف: (إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها، ويكره سفسافها) [90].

وفي الحديث دعوة صريحة إلى ضرورة أن نرتقي بأعمالنا وإنجازاتنا إلى مرتبة الجودة والإتقان والإبداع هذه الدعوة تتخطّى حدود الملموس والمحسوس الذي يدركه كل الناس أو معظمهم على الأقل، كما رأينا قبل قليل في أحاديث إحياء الأرض الموات، لتلامس الجوانب الفنية والأدبية.

فهذا نبينا صلى الله عليه وسلم يحْتفي بالشعر وأهله، ويتخذَ منه منبرا من منابر الدعوة، وسلاحا يواجه به العدو لا يقل أهمية عن السيف والرمح وقد يتعدّاهما فتكا في بعض الأحيان، حتى لقد غدا حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأول دون منازع من دون الصحابة جميعا، لا يقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بشعره عند الملمّات، نظرا لما يتميز به شعره من القوة والعمق وسحر البيان، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ("أهجوا قريشا فإنه أشدّ عليها من رشقٍ بالنبل"، فأرسل إلى ابن رواحة فقال: "اهجهم" فهجاهم فلم يُرْضِ، فأرسل إلى كعب بن مالك. ثم أرسل إلى حسان بن ثابت. فلما دخل عليه قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذَنَبِه، ثم أَدْلَع لسانه فجعل يحرّكه. فقال: والذي بعثك بالحق! لأفرينّهم بلساني فَرْي الأديم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسبا حتى يُلخّص لك نسبي" فأتاه حسان. ثم رجع فقال: يا رسول الله لقد لخّص لي نسبك، والذي بعثك بالحق! لأسُلَّنك منهم كما تُسلُّ الشعرة من العجين، قالت عائشة: فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

(89)- حول تشكيل العقل المسلم، ص: 149.

(90)- ذكره الألباني في "الصحيحة"، ونسب روايته إلى الطبراني وابن عدي والقُضاعي من طريق خالد بن إلياس عن محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان عن فاطمة بنت الحسين عن حسين بن علي مرفوعا. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 1627 (4/168).

لحسان: "إن روح القُدس لا يزال يؤيدك، ما نافحت عن الله ورسوله" وقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "هجاهم حسان فشفى واشتفى". قال حسان:

**هجوتَ محمدا فأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجـزاء**

**هجوتَ محمدا برّا حنيفا رسول الله شيمته الوفـاء**

**فإن أبي ووالـده وعرضي لعرض محمد منكم وِقـَاء**

**ثكِلتُ بُنيّتي إن لم تروها تُثير النقع من كنَفيّ كَدَاءِ**

**يُبارين الأعنّة مُصعدات على أكتافها الأسل الظِماء**

**تظل جيـادنا مُتمِطرات تُلطِّمهن بالخُمر النسـاء**

**فإن أعرضتمو عنا اعتمرنا وكان الفتح وانكشف الغطاء**

**وإلا فاصبروا لضراب يوم يُعزُّ الله فيه من يشاء**

**وقال الله قد أرسلت عبدا يقول الحق ليس به خفاء**

**وقال الله قد يسرّت جندا همُ الأنصار عُرْضتُها اللقاء**

**لنا في كل يوم من معدٍّ سبابٌ أو قتال أو هجاء**

**فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء**

**وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كِفاء)**[91].

واختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان في مثل هذه المواقع دون غيره على كثرة من يقول الشعر من الصحابة آنذاك، هو اعتراف بالإبداع وتشجيع له وإيمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالية الشعر إن رُوعي فيه المضمون، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال: (إن من الشعر حكمة) [92].

(91)- رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت (شرح النووي 233/8). كما رواه البخاري من حديث البراء بن عازب في كتاب بدء الخلق، وكتاب المغازي، وكتاب الأدب بلفظ (أهجهم أو هاجهم وجبريل معك).

(92)- البخاري، من حديث أبي بن كعب، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، انظر: (الفتح 537/10).

كما كان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الاحتفاء بالكلمة المؤثرة إذا صدرت من خطيب مفوّه، فالخطابة موهبة وإبداع وهي سلاح مؤثر في معركة المفاهيم والأفكار، لا تقل أهمية عن بقية فنون القول الأخرى، فقد روى ابن إسحاق قال: (فلما قدم وفد بني تميم، دخلوا المسجد، ونادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أخرج إلينا يا محمد، فآذى ذلك رسول اللهصلى الله عليه وسلم من صياحهم، فخرج إليهم، فقالوا: جئنا لنفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا، قال: "نعم قد أذنت لخطيبكم فليقم"، فقام عطارد بن حاجب، فقال: الحمد لله الذي جعلنا ملوكا، الذي له الفضل علينا، والذي وهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا، وأيسره عُدة، فمن مثلنا في الناس، ألسنا رؤوس الناس وأولي فضلهم، فمن فاخرنا فليعدّ مثل ما عددنا، فلو شئنا لأكثرنا من الكلام، ولكن نستحي من الإكثار لما أعطانا، أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا، أو أمر أفضل من أمرنا، ثم جلس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس: "قم فأجبه"، فقام فقال: الحمد لله الذي السموات والأرض خلقها، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيه علمه، ولم يكن شيء قط إلا من فضله، ثم كان من فضله أن جعلنا ملوكا، واصطفى من خير خلقه رسولا، أكرمه نسبا، وأصدقه حديثا، وأفضله حسبا، فأنزل عليه كتابا، وائتمنه على خلقه، وكان خيرة الله من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان بالله، فآمن به المهاجرون من قومه ذوي رحمه، أكرم الناس أحسابا، وأحسنهم وجوها، وخير الناس فعلا، ثم كان أولى الخلق إجابة لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن، نحن أنصار الله، ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم، نقاتل الناس حتى يؤمنوا، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه، ومن نكث جاهدناه في الله أبدا وكان قتله علينا يسيرا، أقول هذا واستغفر الله العظيم للمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم.

ثم ذكر قيام الزبرقان وإنشاده وجواب حسان له بالأبيات المتقدمة[93]، فلما فرغ حسان من قوله قال الأقرع بن حابس: إن هذا الرجل خطيبه أخطب من خطيبنا، وشاعره أشعر من شاعرنا، وأقوالهم أعلى من أقوالنا، ثم أجازهم رسول اللهصلى الله عليه وسلم، فأحسن جوائزهم[94].

وكم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطرب للصوت الجميل الشجيّ النديّ، الذي تتزاوج فيه هبة الرحمان بلمسات الإنسان لتنتج موهبة إبداعية في الأداء الصوتي الذي يزداد جمالا ورونقا وبهاء إذا تغنّى صاحبه بالطيب من الكلام. فعن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي موسى: (لو رأيتني وأنا أستمع إلى قراءتك البارحة لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود)[95].

لقد شُدّ النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الموهبة الصوتية التي تتغنى بالقرآن، مما حدا به أن يُشيد بصوته، ويعترف بموهبته وفي ذلك تشجيع له ولغيره من أصحاب المواهب على مزيد من الإبداع والإجادة.

بل إن النداء للصلاة على قصر مدّته كان عليه الصلاة والسلام يُشجع على أن يخرج من حناجر صدّاحة ذات صوت نديّ ليكون أبلغ في الأثر وأعمق في التعبير، كما جاء في قصة بدء الأذان. فعن عبد الله بن زيد قال: (لما أصبحنا أتينا رسول الله

---

(93)- يشير إلى أبيات كان قد قالها حسان بن ثابت على البديهة بطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للرد على الزبرقان شاعر بني تميم وكان مطلع هذه الأبيات:

**إن الذوائب من فهر وإخوتهم — قد بينوا سنة للناس تتبع**
**يرضى بها كل من كانت سريرته — تقوى الإله وكل الخير مصطنع**

**إلى أن قال:**

**أكرم بقوم رسول الله شيعتهم — إذا تفاوتت الأهواء والشيع**
**أهدي لهم مدحتي قلب يؤازره — فيما أحب لسان حائك صنع**
**فإنهم أفضل الأحياء كلهم — إن جد بالناس جِدّ القول أو شمعوا**

(94)- زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، (273/1)، وقد ذكر ابن حجر بأن رواية ابن إسحاق منقطعة، وأخرجها ابن منده في ترجمة ثابت بن قيس في "المعرفة" من طريق أخرى موصولة (أنظر الفتح 593/8).

(95)- البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن، برقم 5048 (الفتح 92/9)، ومسلم –واللفظ له- كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، (شرح النووي 270/3).

صلى الله عليه وسلم فأخبرته بالرؤيا، فقال: إن هذه لرؤيا حق فقُم مع بلال فإنه أندى وأمدّ صوتا منك فألقِ عليه ما قيل لك وليُنَادِ بذلك...) [96].

إنّ دنيا الناس اليوم لا تعترف إلاّ بالأقوياء علما وعملا، وفكرا وسلوكا، وإبداعا وإتقانا، ممّن لا يعرف العجز والكسل إليهم سبيلا. ولا يرضون العيش على هامش الحياة بل يقتحمون صلبها ويركبون متنها بكل إيجابية ودافعهم في ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المؤمن القويّ خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز)[97].

وقمّة العجز في عدم الثقة في النفس وإقناع الذات بأنّه ليس بالإمكان أبدع مما كان، هذه المقولة اليائسةُ البائسة التي تحوّلت إلى شعار يعبّر عن العجز والعطالة والخمول، كما عبّر عن ذلك الدكتور عمر عبيد حسنة عندما قال: ("ليس بالإمكان أفضل مما كان" شعار العاجزين الذي يجعل واقعهم مسترخيا، ومذهبهم مرجئا في الوقت الذي نرى فيه شعار العالم الدائم أنه بالإمكان باستمرار أفضل مما كان، وعندهم أنّه لابد من مقابلة الدرس والاختبار وإعادة قراءة الماضي لكشف جوانب القصور، وأسباب التقصير،ة واستدراك ذلك بصناعة واقع أفضل واستشراف مستقبل أكثر سدادا وصوابا. وأعتقد أن هذا الشعار الذي انقلب إلى مُسلّمة في حياتنا، من الأمور التي ساهمت في عطالة الأمة وانطفاء فاعليتها وعجزها من الإفادة من ماضيها لحاضرها، ومن حاضرها لمستقبلها)[98].

**سادسا: السنة والدعوة إلى الانفتاح على معارف وتجارب الأمم والحضارات الأخرى**

إنّ التفاعل الحضاري مع المحيط الخارجي عنصر مهم في صقل المواهب وتفتّق ملكات الإبداع، لأن العلم والمعرفة والخبرة ليست حكرا على أمة من الأمم، لذلك لم يجد الإسلام غضاضة في الدعوة إلى التفتح على معارف وتجارب الآخرين. بل إن توجيهات

(96)- الترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء في بدء الأذان، برقم 189 (358/1 طبعة شاكر) وقال الترمذي: حسن صحيح، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب كيف الأذان، برقم 499 (135/1)، وابن ماجه، كتاب الأذان والسنة فيها، باب بدء الأذان، برقم 706 (232/1)، والدارمي، كتاب الصلاة، باب في بدء الأذان (268/1-269).

(97)- مسلم كتاب القدر، باب بالأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، برقم 2664 (شرح النووي 382/8).

(98)- حتى يتحقق الشهود الحضاري، ص: 52.

النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه كانت تدفع إلى اقتناص المفيد ومن أي وعاء خرج باعتباره ضالّة ينبغي نشدانها، وذلك بهدف صناعة النجاح على جميع الصعد وفي مختلف المجالات، ولتحقيق وعد الله لهذه الأمة بالاستخلاف والتمكين في الأرض قال تعالى: ﴿وَعد اللهُ الذينَ آمَنوُا مِنْكم وعَمِلُوا الصَّالِحات لَيَسْتخْلِفنَّهُم في الأرْضِ كما اسْتَخْلفَ الذِينَ منْ قبْلِهِم ولَيُمكِنَّنَ لهم دِينهُم الذي ارْتضَى لهُم﴾[99].

ومن أهمّ الأدوات التي تمكّن المسلم من الاستفادة من معارف الآخرين هو تعلّم اللّغة التي يتكلمون بها، يقول فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي: (ومن هذه التعاليم المهمّة لإيجاد مناخ علمي، تعلّم لغات الآخرين عند الحاجة إليها، خصوصا إذا كان عندهم علم يؤخذ أو حكمة تُقتبس، فلا سبيل للانتفاع بها عند غيرك إذا جهلت لغته، ولم يمنع الإسلام من تعلّم لغات الآخرين، بل دعا إليها باعتبارها وسيلة لنشر دعوته في العالم، وذلك أن رسالته صلى الله عليه وسلم رسالة عالمية فهو وإن كان عربيا والكتاب المنزّل عليه عربي، وقد أرسله الله بلسان قومه ليُبيّن لهم أنّه قد بعث للناس كافة ﴿ لِيَكُون للعالمين نَذِيرا﴾[100]، ﴿ومَا أَرْسلْناك إلاَّ رَحْمةً للعالمينَ﴾[101]، ﴿ قُل يَا أَيُّها النَّاسُ إنّي رَسُول اللهِ إليكُم جمِيعًا﴾[102]، فلا بدّ من تراجمة بينه وبين أرباب اللغات الأخرى حتىّ يمكنه تبليغ الدعوة إليهم وتلقّي الإجابة منهم، وقد كان عنده صلى الله عليه وسلم من أصحابه من يعرف الفارسية والرّومية والحبشية ويكفيه همّ الترجمة منها وإليها، ولكن لم يكن عنده من يعرف اللغة السّريانية التي يكتب بها اليهود، فأمر بذلك كاتب وحيِه الأنصاري النابغة زيد بن ثابت ﷺ ليتقنها قراءة وكتابة ويستغني بها عن الوسطاء من اليهود في ذلك، قال زيد:" أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلمْتُ له كتاب يهود بالسريانية وقال: إنّي والله ما آمن يهود على كتابي، فما مرّ بي نصف شهر حتىّ تعلّمته وحذقته، فكنت أكتب له إليهم وأقرأ له كتبهم"[103] ولعلّه كان على شيء من المعرفة بها من قبل لمجاورة الأنصار لليهود حتى أمْكنه أن يحذِقها في هذه المدة القصيرة، ومن هنا حرص كثير من المسلمين على معرفة اللغات

---

(99)- سورة النور: 55.

(100)- سورة الفرقان: 01.

(101)- سورة الأنبياء: 107.

(102)- سورة الأعراف: 158.

(103)- أخرجه البخاري معلقا بصيغة الجزم في كتاب الأحكام باب ترجمة الحكّام وهل يجوز ترجمان واحد(الفتح 185/13)وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن البخاري قد وصله مطولا في "كتاب التاريخ" وذكر من أخرجه من أصحاب السنن كأبي داود والترمذي هذا الأخير الذي قال عن الحديث بأنه: حسن صحيح، ثم عمل الحافظ على نفي شبهة التفرّد عن هذا الحديث بذكر مُتابع له وخَلُص بذلك إلى صحّة الحديث كما جزم بتعليقه البخاري (انظر الفتح 186/13-187). وقد ذكره الألباني في "صحيحته" وأشار إلى اختلاف طرقه وألفاظه. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (364/1-365).

فترجموا منها وإليها، ونقلت كتب العلم من الأمم الأخرى، وتنافس في ذلك المترجمون، وكافأ على ذلك الخلفاء، وقال في ذلك الشاعر:

**بقر لغاتِ المرء يكثُر نفعه فتلك له عند الملمّاتِ أعوان**

**فأقبل على درس اللّغاتِ وحفظِها فكلّ لسانٍ في الحقيقةِ إنسان)** [104]

وعمل النبي صلى الله عليه وسلم على إطلاق روح المبادرة لدى الصحابة رضوان الله عليهم في أن يُبدعوا ويبتكروا كلّ ما من شأنه أن يرفع من مستوى الأداء الحضاري للأمة، بل إنّه صلى الله عليه وسلم شجّع على نقل إبداعات الأمم والحضارات الأخرى فيما يتعلق بشؤون الحياة المدنية والعسكرية.

ولقد نقلت لنا كتب السنّة والسيرة عددا من أفكار وإبداعات الأمم الأخرى التي وافق النبي صلى الله عليه وسلم على الاستفادة منها وكانت في معظمها إبداعات عسكرية تتعلّق بآلات الحرب وخُططه، وذلك راجع إلى كثرة انشغال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحروب داخل الجزيرة وخارجها دفاعا على الدّين أو نشرا له. ولعلّ أبرز شيء يسْبق إلى الأذهان ممّا أجمعت كتب السيرة والسنّة على نقله وصحّة ثُبوته لِمَا كان له من أثر بالغ في حسْم المعركة لصالح المسلمين هو حفر الخندق حول المدينة في غزوة الأحزاب التي تُسمّى أيضا بغزوة الخندق. فالخندق كان من الخطط العسكرية الناجحة لدى الفرس فقام سلمان الفارسي باقتراح فكرته على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبارك الاقتراح بل شارك في حفره.

نقل الحافظ ابن حجر في الفتح[105] عن أبي معشر صاحب المغازي قوله: (قال سلمان للنبي صلى الله عليه وسلم: إنّا كنّا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق حول المدينة، وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين، فسارعوا إلى عمله حتى فرغوا منه، وجاء المشركون فحاصروهم).

وروى البخاري في صحيحه[106] من حديث البراء قوله:( لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الترابُ جلدةَ بطنه).

(104)- السنّة مصدرا للمعرفة، ص: 183-184.

(105)- (393/7).

(106)- البخاري كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، برقم:4106 (الفتح 399/7).

هذا الابتكار البديع لم يكن يخطر على بال المشركين حتى قال أبو سفيان وأصحابه إذ رأوه: (هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها) (107).

وقد علّق فضيلة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي على هذه الوسيلة الحربية التي استعملها المسلمون في هذه الغزوة بالقول: (وهذا من جملة الأدلة الكثيرة التي تدل على أنّ الحكمة هي ضالّة المؤمن فحيثما وجدها التقطها، بل هو أولى بها من غيره، وأن الشريعة الإسلامية بمقدار ما تكره للمسلمين إتّباع غيرهم وتقليدهم على غير بصيرة، تحبّ لهم أن يجمعوا لأنفسهم أطراف الخير كله، والمبادئ المفيدة جميعها أينما لاح لهم ذلك، وحيث ما وُجد، فالقاعدة الإسلامية العامة في هذا الصدد هي أن لا يُعطل المسلم عقله الحر وتفكيره الدقيق في سلوكه وعامّة شؤونه وأحواله، وإذا كان المسلم كذلك فهو لا ريب لا يمكن أن يربط في عنقه زماما يسلّم طرفه للآخرين فيقودوه حيث ما أرادوا بدون وعي ولا بصيرة، وهو أيضا لا يمكن أن يتجاهل أيّ مبدإ أو عمل أو نظام يُسلّم به العقل النيّر والفكر الحرّ وينسجم مع مبادئ الشريعة الإسلامية لا يتجاوزه ولا يُتعب نفسه بأخذه والاستفادة منه)(108).

كما تفتّقت قرائح الإبداع لدى بعض الصحابة رضوان الله عليهم في غزوة الطائف عندما اشتدّ حصار المسلمين لحصون الطائف المنيعة، وصعب عليهم اختراقها لقوتها واستبسال من فيها للدفاع عنها، فاستخدم المسلمون لأول مرة آلات حربية لضرب الحصون كالمجانيق والدبابات والضبُّور، يقول الدكتور حسن إبراهيم حسن: (وتعلّم المسلمون صنع المنجنيق –وهو آلة ترمى بها الحجارة على الأعداء– حتى قال ابن هشام في سيرة الرسول: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق، وذلك أنه ﷺ سار إلى الطائف مطاردا فلول ثقيف الذين اعتصموا بحصونهم وطفِقوا يرمون المسلمين من فوقها بنبالهم، فاضطر إلى نصب المنجنيق ليرميهم به. وصنع المسلمون في عصر النّبي من الخشب المغطّى بالجلد دبابة سموها "الضّبر" وجمعها الضبور كانوا يكْمُنون فيها ليتّقوا النبال الموجهة إليهم من الحصون، وكانوا كثيرا ما يقرّبونها لقتال المعتصمين بحصونهم وهم –أي المسلمون– ما يزالون في ضبورهم كامنين، ويُشبه ذلك ما صنعه المسلمون في عصر النبي أيضا من الدبابات التي يدخلون جوفها ويدفعونها إلى جُدُر الحصون يحاولون نقبها وتهديمها) (109).

(107)– الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر المطبوع بهامش الإصابة لابن حجر (58/2).

(108)– فقه السيرة، ص:297.

(109)– انظر النظم الإسلامية، حسن إبراهيم حسن، ص:201، والنظم الإسلامية صبحي الصالح، ص:402–403.

ويُعلّق الدكتور صبحي الصالح على هذا الكلام بالقول: (وربما كان لاختلاط العرب بالفرس والروم أثر في تحسين أسلحتهم وأزيائهم العسكرية، ولكن استعدادهم في التفنن في الصناعة الحربية هو الذي أتاح لهم — في وقت مبكر- أن يتبوّؤوا مركزا مرموقا في العالم كله، وأن يكونوا مشعلا لحضارة بني الإنسان) [110].

ولم تنقل لنا كتب السيرة من أين استفاد المسلمون من هذه الآلات الحربية غير ما ورد من أخبار واهية رواها الواقدي صاحب المغازي من كون سلمان الفارسي هو صاحب هذه الفكرة التي كانت من ضمن الوسائل الحربية عند الفرس، وأنّه هو الذي صنع المنجنيق بيده بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو روايات أخرى تقول بأن يزيد بن زمعة هو الذي قدم بالمنجنيق ودبابتين وقيل الطفيل بن عمرو [111].

غير أن الذي استفاض واشتهر في كتب السّير [112] هو أن مدينة يمانية عظيمة تدعى جُرَش تقع شرقي جبل السواد من أرض البلقاء جهة مكة، اشتهرت بصناعة المنجنيق والدبابات والضبور حيث ذكر ابن إسحاق أن اثنين من وجهاء ثقيف كانا يتعلّمان هذه الصناعة هناك فقال: (ولم يشهد حُنينا ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة كانا بجُرَش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور).

وما دمنا نتحدث عن الخطط العسكرية وآلات الحرب فجدير بالذكر أن ننوّه بلمسات الإبداع التي تجلّت أيضا في غزوة بدر الكبرى من خلال بعض الأفكار والمقترحات الجادة التي قدمها بعض الصحابة ونالت استحسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بل وضعها موضع التنفيذ وكان لها الأثر فيما آلت إليه هذه المواجهة من نصر مؤزّر مبين.

ومن ذلك إشارة الحُباب بن المنذر بضرورة تغيير المكان الذي عسكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بادئ الأمر روى الإمام الطبري بإسناده إلى محمد بن إسحاق قوله: (حُدّثت عن رجال من بني سلمة أنهم ذكروا أنّ الحباب بن المنذر بن الجموح قال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدّمه ولا نتأخّره، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة فقال: يا رسول الله فإنّ هذا ليس لك بمنزل،فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم

(110)- النظم الإسلامية، صبحي الصالح، ص:403.

(111)-انظر تاريخ الإسلام (قسم المغازي) للذهبي (493/2).

(112)- انظر سيرة ابن هشام (117/4)، تاريخ الإسلام (المغازي) (492/2)، السيرة النبوية لابن كثير (652/3)، النظم الإسلامية، صبحي الصالح، 509، السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري (509/2).

نغوّر ما سواه من القُلُب ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد أشرت بالرأي) [113].

ومن ذلك اقتراح سعد بن معاذ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء عريش له يراقب من خلاله سير المعركة بعيدا عن الأخطار، قال الإمام الطبري حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق فحدّثَني عبد الله بن أبي بكر أنّ سعد بن معاذ قال: يا رسول الله نبني لك عريشا من جريد فتكون فيه ونعدّ عندك ركائبك ثم نلقى عدونا، فإن أعزّنا الله وأظهرنا على عدوّنا كان ذلك ممّا أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلّف عنك أقوام يا نبيّ الله ما نحن بأشدّ حبا لك منهم، ولو ظنوا أنّك تلقى حربا ما تخلّفوا عنك يمنعك الله بهم يُناصحونك ويُجاهدون معك فأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له بخير ثم بُني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشٌ فكان فيه)[114].

كما استفاد النّبي صلى الله عليه وسلم من إبداع الآخرين في غير المجال العسكري أيضا، ومن ذلك ما أشرنا إليه سلفا من استعانة النبي صلى الله عليه وسلم من أسرى المشركين في غزوة بدر الكبرى في محو الأميّة[115]، كما قبل النبي صلى الله عليه وسلم أن يستبدل الجذع الذي كان يخطب عليه بمنبر خشبي تقول بعض الروايات أنه من صناعة رجل رومي.

فقد روى البخاري[116] أنّ سهل بن سعد الساعدي قال: (أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلانة –امرأة قد سمّاها سهل– مُري غلامك النّجّار أن يعمل لي أعوادا أجلس عليهن إذا كلّمت الناس، فأمَرَتُه فعملها من طرفاء الغابة ثم جاء بها فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بها فوضعت هاهنا).

---

(113)– تاريخ الأمم والملوك، الطبري (29/2) هذا الحديث ضعّفه الألباني في تخريجه لأحاديث "فقه السيرة" للشيخ محمد الغزالي وقال: هذا سند ضعيف لجهالة الواسطة بين ابن إسحاق والرجال من بني سلمة، وأشار إلى وصل الحاكم له في مستدركه دون أن يصحّحه وإنكار الذهبي له. انظر فقه السيرة ص:240. وقد تعقّب الشيخ يوسف القرضاوي كلام الألباني بالقول:(ولكن وصله ابن حجر في الإصابة من طريق ابن سحاق في السيرة بإسناده إلى عروة، وهو إسناد صحيح إلا أن الحديث مرسل، ولكنه يعضده شهرة القصة بين الصحابة الذين أدركهم عروة وهم كثرة والذين كانوا يروون أنباء الغزوات لأبنائهم، كما أن للحديث شاهدا بإسناد ضعيف عند ابن شاهين كما في الإصابة أيضا، وقد نقلت كتب السيرة خبر الحُباب وتلقته بالقبول)، انظر السنة مصدرا للمعرفة، ص:55 –بتصرف يسير–.

كما صحّح الحديث الشيخ البوطي في سيرته، ص:115، محتجا بالإسناد الذي ساقه ابن حجر في الإصابة (302/1) فقال: ( وهذا سند صحيح والحافظ ابن حجر ثقة فيما ينقل ويروي). وقد توسّط الدكتور أكرم ضياء العمري في "سيرته الصحيحة" (360/2) في الحكم على هذا الحديث حيث اعتبر إسناده حسن إلى عروة لكنه مرسل، ورغم ضعف هذه الرواية –كما قال– من جهة الإرسال فإن مبدأ الشورى ثابت بنصوص القرآن الكريم وأحداث السيرة المطهرة.

(114)– تاريخ الطبري (29/2–30).

(115)– ذكرناه في المبحث الذي خصّصناه للتوجيهات النبوية التي تدعوا إلى العلم وتحث على الاجتهاد فانظره هناك.

(116)– في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الخطبة على المنبر، برقم 917 (الفتح 397/2).

وقد ورد في قصة المنبر روايات كثيرة اختلفت في اسم من اقترح عليه هذه الفكرة وفي اسم صانع المنبر، وأقوى الأحاديث سندا كما قال الحافظ في الفتح[117] حديث عبد الله بن عمر أنّ تميما الداري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما كثُر لحمه ألاَ نتّخذ لك منبرا يحمل عظامك؟ قال: بلى، فاتُخذ له منبر) وعزا روايته إلى أبي داود والبيهقي، وقد ورد في بعض الروايات أنّ تميما الداري رأى ذلك يُصنع في الشام[118].

ومن الروايات التي أوردها الحافظ بن حجر أيضا قال: (ووقع عند الترمذي وابن خزيمة وصحّحاه من طريق عكرمة بن عمار عن إسحاق بن أبي طلحة عن أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم يوم الجمعة فيُسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد ليخطب فجاء إليه رومي فقال ألا أصنع لك منبرا) قال الحافظ:يُحتمل أن يكون الرومي تميما الداري لأنه كان كثير السفر إلى بلد الروم[119].

كما قبل النبي صلى الله عليه وسلم أن يتخذ خاتما من فضة ليختم كتبه ورسائله إلى سائر الملوك والأمراء، ولم يكن ذلك معروفا عند العرب وإنما هو إبداع أمم وحضارات أخرى، فعن أنس بن مالك قال: لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم، قال: قالوا: إنهم لا يقرأون كتابا إلا مختوما، قال: فاتخذّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة كأني أنظر إلى بياضه في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، نقْشُه محمد رسول الله) [120].

والأمر لم يكن مقصورا على الروم بل عام عند جميع العجم، ففي رواية لمسلم عن أنس (أن نبي الله كان أراد أن يكتب إلى العجم فقيل له إن العجم لا يقبلون إلا كتابا عليه خاتم، فاصطنع خاتما من فضة، قال: كأني أنظر إلى بياضه في يده) [121].

وعنه عن أنس أيضا ( أن نبي الله أراد أن يكتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي، فقيل له: لا يقبلون كتابا إلا بخاتم.....الحديث) [122].

---

(117)- الفتح (398/2).

(118)- نفس المصدر والجزء والصفحة.

(119)- المصدر السابق (399/2)، وقد اطّلعت على رواية الترمذي (554/5 طبعة شاكر برقم 3627) وليس فيها ذكرا للرومي. وورد ذلك في رواية أخرجها الدارمي في سننه في المقدمة، باب ما أكرم النبي ﷺ بحنين المنبر (16/1) عن أبي سعيد قال: كان رسول الله ﷺ يخطب إلى لزق جذع فأتاه رجل رومي فقال: أصنع لك منبرا تخطب عليه فصنع هذا الذي ترون.

(120)- البخاري، كتاب اللباس، باب اتخاذ الخاتم ليختم به الشيء، أو ليكتب به إلى أهل الكتاب وغيرهم، برقم 5875 (الفتح 324/10)، ومسلم - واللفظ له- كتاب اللباس والزينة، باب اتخاذ النبي ﷺ خاتما لما أراد أن يكتب إلى العجم (شرح النووي 257/7).

(121)- مسلم، في نفس الكتاب والباب السابق (شرح النووي 258/7).

(122)- نفس المصدر والكتاب والباب والصفحة.

لقد تعامل ديننا بكل إيجابية مع إبداعات وابتكارات الأمم والحضارات الأخرى دون أدنى عقدة أو تردد ما دامت تضيف جديدا نافعا، وإن مثل هذه التوجيهات النبوية فتحت الباب واسعا للصحابة والسلف الصالح من بعده ليشقّوا طريقهم نحو البناء والتشييد والابتكار، فأبدعوا في صناعة حضارة عظيمة ما زال الغرب يتفيؤ من ظلالها إلى يوم الناس هذا.

**الخاتمة:**

وبعد هذه السياحة الممتعة مع عدد من التوجيهات النّبوية التي تحضّ على الإبداع وتدفع إلى الابتكار فإننا نخلص إلى عدد من النتائج أهمّها:

1- غنى السنّة النبوية بعدد كبير من النصوص على اختلاف أنواعها (قولية أو فعلية أو تقريرية) تشجع على الإبداع وتدعوا إلى الابتكار.

2- خلو هذه النصوص من التعبير المباشر بمصطلحي الإبداع والابتكار، وغناها بمصطلحات وألفاظ ومعانٍ تدور في فلكها من مثل: العلم، العمل، الاجتهاد، الإتقان، الإحسان، الإحكام ...إلخ هذا عدا ما يُفهم من سياق النّص برمّته.

3- تنّوع هذه التوجيهات النّبوية في دعوتها إلى مختلف أنواع الإبداع النافع، علميا كان أو فكريا أو أدبيا أو ماديا أو عسكريا.

4- غنى هذه النصوص بروح الحركيّة المبدعة والتجديد الهادف والاجتهاد المنضبط والانفتاح الواعي.

5- رعاية النبي صلى الله عليه وسلم للمواهب والمبدعين وتشجيعهم واستثمار إبداعهم وتفوقهم في ما يدفع بالأمة نحو المعالي.

6- دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى توفير الأجواء المناسبة والمناخ الملائم بالتعلم واقتناص الحكمة ولو من غير المسمين وكذا باستخدام المواهب واستغلالها والعمل على تشجيعها وتحفيزها وإكرامها ماديا ومعنويا.

**وفي الأخير نقترح عددا من التوصيات:**

1- جمع كل النصوص النبوية الصحيحة المتعلقة بالإبداع والابتكار من كل دواوين السّنة وتقسيمها تقسيما موضوعيا، وشرحها شرحا موجزا لتستفيد منها الأجيال للنهوض من هذه الكبوة التي نعيشها.

2- العمل على التنقيب على المواهب المبدعة ورعايتها وتوفير الأجواء الملائمة لها لإعانتها على الإنتاج المثمر والإبداع الجميل.

3- العمل على التواصل مع مدارس الإبداع المتخصصة في بلادنا الإسلامية أو في بلاد الغرب، لاكتساب مهارات الإبداع المعاصرة مع ضرورة مراعاة الخصوصيات وضوابط الشرع.

4- تخصيص ملتقيات يعالج فيها موضوع الإبداع والابتكار معالجة مستفيضة، من خلال النصوص النبوية نظرا لأهميته في واقعنا اليوم. **والله من وراء القصد**

**قائمة المصادر والمراجع**

**القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم**


1- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.

2- الإحسان بترتيب صحيح بن حبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط:1، 1987/1407، دار الكتب العلمية بيروت.

3- الاستذكار، أبو عمر بن عبد البر، تعليق سالم محمد عطا، محمد علي معوض، ط:2، 2002/1422، دار الكتب العلمية، بيروت.

4- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر بن عبد البر، المطبوع بهامش الإصابة لابن حجر، ط:1، 1989/1409، دار إحياء التراث العربي بيروت.

5- الترغيب والترهيب، أبو محمد زكي الدين عبد العظيم المنذري، تعليق مصطفى محمد عمارة، المكتبة العصرية، صيدا بيروت.

6- التوجيه الإسلامي للشباب، من بحوث مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية، ط:1971/1391، دار الكتب العصرية، صيدا بيروت.

7- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، جلال الدين السيوطي، ط:1، 1981/1401، دار الفكر بيروت.

8- الجامع لأحكام القرآن، أبي عبد الله القرطبي، ط:1985/1405، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

9- السنة مصدرا للمعرفة والحضارة، يوسف القرضاوي، ط:1، 1997/1417، دار الشروق القاهرة.

10- السنة والبدعة، يوسف القرضاوي، ط:1، 2000/1421، مؤسسة الرسالة، بيروت.

11- السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري، ط:3، 1998/1418، مكتبة عبيكان، الرياض.

12- السيرة النبوية لابن هشام، تعليق عمر عبد السلام تدمري، ط:3، 1990/1410، دار الكتاب العربي، بيروت.

13- السيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ط: 1983/1403، دار المعرفة، بيروت.

14 الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط:1، 1990/1410، دار الكتب العلمية بيروت.

15 المعجم المفصل في اللغة والأدب، ميشال عاصي، إميل بديع يعقوب، ط:1، سبتمبر 1987م، دار العلم للملايين، بيروت.

16 المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، شمس الدين السخاوي، تعليق عبد الله محمد الصديق، ط:2، 1991/1412، مكتبة الخانجي، القاهرة.

17 النسائي، سنن النسائي، شرح الحافظ جلال الدين السيوطي، ط:1، 1991/1411، دار المعرفة بيروت.

18 النظم الإسلامية، حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة، القاهرة.

19 النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها، صبحي الصالح، ط:6، 1982، دار العلم للملايين، بيروت.

20 بناء الأجيال، عبد الكريم بكار، ط:1، 2002/1423، مطابع أضواء المنتدى، الرياض.

21 تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام (قسم المغازي)، شمس الدين الذهبي، تحقيق محمد محمود حمدان، ط:1، 1991/1411، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني.

22 تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، ط:3، 1991/1411، دار الكتب العلمية، بيروت.

23 تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد بن عبد الرحمان بن عبد الرحيم المباركفوري، ط:1، 1990/1410، دار الكتب العلمية، بيروت.

24 جامع البيان في تفسير القرآن، ابن جرير الطبري، 1983/1403، دار المعرفة، بيروت.

25 جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، دار الهدى، عين مليلة الجزائر.

26 حتى يتحقق الشهود الحضاري، عمر عبيد حسنة، ط:1، 1991/1412، المكتب الإسلامي، بيروت.

27 حول تشكيل العقل المسلم، عماد الدين خليل، ط:1، 1989/1410، مطبعة الفيصل، الكويت.

28 دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، يوسف القرضاوي، ط:1، 2002/1412، مؤسسة الرسالة، بيروت.

29 زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، ط:1، 2004/1425، دار الإمام مالك، الجزائر.

30 سبيل النهضة منهج وهدف، محمد أحمد كنعان، ط:1، 1991/1412، دار البشائر الإسلامية بيروت.

31 سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، ط: 1995/1415، مكتبة معارف الرياض.

32 سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر بيروت.

33 سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت

34 سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الفكر بيروت.

35 سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق عبد الرحمان محمد عثمان، ط:2، 1983/1403 دار الفكر بيروت.

36 سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بهرام، دار الفكر بيروت.

37 سيكولوجية الإبداع في الحياة، عبد العلي الجسماني، ط:1، 1995/1416، الدار العربية للعلوم، بيروت.

38 شرح الأربعين نووية، ابن دقيق العيد، ط:1، 1997/1417، دار بن حزم، بيروت.

39 شرح السّنة، أبو محمد الحسين البغوي، تحقيق علي محمد عوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط:1، 1992/1412، دار الكتب العلمية، بيروت.

40 شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي، تحقيق محمد سعيد زغلول، ط:1، 1990/1410، دار الكتب العلمية بيروت.

41 صحيح الجامع الصغير وزيادته ، محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق زهير الشويش، ط:3، 1988/1408 المكتب الإسلامي، بيروت.

42 صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، ط:3، 1988/1408، مكتبة التربية العربية لدول الخليج، الرياض.

43 صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، ط:1، 1994/1417، مكتبة معارف الرياض.

44 صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، ط:1، 1988/1408، مكتبة التربية العربية لدول الخليج الرياض.

45 صحيح مسلم بشرح النووي، مكتبة الإيمان، المنصورة القاهرة مصر.

46 صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط، أبو عمرو بن الصلاح، تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط:2، 1987/1408، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

47 فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة بيروت.

48 فقه السيرة، محمد الغزالي، دار الشهاب، باتنة، الجزائر.

49 فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الشهاب، باتنة، الجزائر.

50 كتاب التعريفات، علي بن محمد سيد الشريف الجرجاني، تحقيق عبد المنعم حفني، دار الرشاد، القاهرة.

51 كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، ط:1922م، المطبعة الأميرية، القاهرة.

52 لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور، ط:3، 1994/1414، دار صادر، بيروت.

53 مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، دار الفكر، لبنان.

54 مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن مثنى التميمي، تحقيق حسين بن سليم الأسد، ط:1، 1992/1412، دار الثقافة العربية دمشق

55 مسند الإمام أحمد بن حنبل، شرح أحمد محمد شاكر، ط: سنة 1994/1414، مكتبة التراث الإسلامي، مصر.

56 مسند الإمام أحمد بن حنبل، وبهامشه منتخب كنز العمال، دار الفكر.

57 معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط:1979/1399، دار الفكر، لبنان.

58 مقالات الكوثري، محمد زاهد الكوثري، ط:1994/1414، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهر.

59 منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ط:10، 1992/1412، دار الشروق، القاهرة.

60 منهجية التربية الدعوية، محمد أحمد الراشد، ط:1، 2002/1422، دار المحراب، كندا .